لـقـــاءات

حوار مع الدكتور المهدي المنجرة

المهدي المنجرة اقتصادي وعـالم مسـتقبلي وهو واحد من ضمن ألفي شخصية عالمية بصمت القـرن العشـرين، حسب إحدى أكبر المؤسسـات العالمية لاسـتطلاع الـرأي، وقد شـغل منصب المسـؤول عن الثقافة بالبلـدان العربية بمنظمة اليونســكو في الســبعينات من أشــهر مؤلفاته " الحرب الحضارية الأولى" و " عولمة العولمـة" . وله عـدة إســــــــهامات فكرية ونقدية يمكن قراءتها في موقعه بالأنطرنيـط,في هـذا الحـوار يتحـدث عن الفن التشـكيلي وعلاقته بـــالمجتمع، عن المســـتقبل وشـــروط انتفاضة إبداعية حقيقية بالوطن العربي .

- **الــــدول المتخلفة هي الــــتي لها فنانوها وتعيش بدون فن .**
- **مكانة المغــرب في الــتراث العــالمي راحت أبعد من المغرب.**
- **الفن يـــأتي بالرؤيـــا، والرؤيا لا تـــأتي من شـــخص واحـــد، بل من مجتمع عـــائم في الخلق والإبداع، في الحرية والجماليات.**
- **إذا كان شعب فيه 60%ـ من نسـبة الأمية و 50% يعـــــانون من فقر دم كيف تطلب منه أن يتذوق لوحة لهذتا الفنان أو ذاك ؟**
- **الفن التشكيلي يبدأ عنـدما يكـون هنـاك نقد تشكيلي .**
- **لست ضد أي تجربة كيفما كـانت في ميـدان الخلق و الإبداع.**
- **اهتمـامي بـالفن جـاء كمفتـاح لفهم مجتمع بلادي.**

أحمد فاسي : ما موقع الموروث الحضاري المغربي في مجال الفنون المرئية من الحضارات الأخرى ؟

المهدي المنجرة : أبدأ أولا بملاحظة عامة : الدول المتخلفة ليست تهي الـــتي ليس لها النفط او الغـــاز..

الـدول الءتعلفة هي الـثي لها فنانوها وتعيش بـدون فن. هذا هو التخلف وليس شيئا آخر.

الفن بمفهـــوم الجماليـــات هو أيضا في الـــتركيب العقلاني، في التعامل مع الجمـال. أي واحد يعيش بــدون جمال هو بالنسبة لي إنسان ميت حي وإذا أردت أن تــرى ما هي الحرية وحقــوق الإنســان ومــاهي الديمقراطية.... تحكم في الطريقة الـــــــــتي تتعامل فيها البلاد مع الفن وبالخصوص المسـؤولين إذا أردت أن تجد الخلل أنظر من يشجع البشاعة ....

مكانة المغـرب في الـتراث العـالمي من حيث الخلق والإبــداع راحت أبعد من المغــرب ولا زال لها تــأثير في التفكير والتركيب التشكيلي بصفة عامة .

أحمد فاسي: هل المنتوج التشكيلي المغربي يعكس غنى وتنوع هذا التراث.

المهدي المنجرة : الموروث هو أن لا تعيش بـالإرث بل تنطلق من الإرث لأشياء أخرى. وهذا لا يعني أن هنالك أي موقف بالنســـــــبة لما هو التقليد وما هو الماضي ، الماضي ما هو " ماضـــــي" إلا لأنه في وقت ما كـــــان مسـتقبل مـاض آخـر، إذ يجب التوجه إلى المسـتقبل. لأن الفن يــأتي بالرؤيــا. تخلفنا أساسه الثقــافي والاقتصــادي والسياسي هو أننا لم نجد رؤية في بلـــــدان الجنـــوب . والرؤيا لا تـأتي من شـخص واحد بل من مجتمع عـائم في الخلق والإبـداع، في الحرية والجماليـات، لما نـدرس كيف نمت الدول. انطلاق اليابان في أواخر القـرن التاسع عشر ليس فقط في الاقتصاد، لـنر المدرسة التشـكيلية اليابانية في نفس الفــترة.... إذن يجب أن تأخذ بعين الاعتبــار أننا حين نتكلم عن التشــكيل نتحــدث عن وضــعية، عن خلق وإبداع، وإذا توفرت الشروط للخلق والإبداع في أي مجال في النحت أو الرسم أو الطرب أو الشعر... البقية تــأتي . حين كنت في اليونسكو مكلفا بالثقافة كان André Malraux هو المسؤول في حكومة ديكول عن الثقافة، كان الحديث عن قـــانون 1% أي أن واحـــدا في المائة مما تتصـــرف الدولة على البنايـات الرسـمية والحكومية يمـول الفنـون لتشجيع الخلق والإبداع في البلاد.....

أتحـدى أي واحد يعطيـني أسـماء رؤسـاء دول في أي بلاد دون أن يخطئ لكن في الميدان الفني أذكر " شوبان " أذكر "موزار"... من يتـذكر أي شـيء في تـاريخ إسـبانيا المعاصر والحرب الأهلية إلا لوحة الكرنيك لبيكاسـو؟ ومن لا يتـذكر بـالمغرب دور أناشـيد الموسـيقار الراحل أحمد البيضـاوي في الحركة الوطنية إبـان الاسـتعمار؟ ... هي قضية تربية وتوفر الأرضية.

إذا كان عندك 60% من الشـعب أمي وإذا كـان 50% يعـاني من فقر دم. صـعب أن تطلب منه أن يتـذوق لوحة لابن يسف أو بلكاهية أو الشرقاوي .لأن هنالك أولويات.

واهتمامي بالفن ليس لأنه كانت لي صداقة مع مـولاي أحمد الشـرقاوي قبل كل واحد لكن اهتمـامي بـالفن جـاء كمفتاح لفهم مجتمع بلادي .

والتوق لفهم بلادي هو الذي دفعني.... وهذا ما سـجلته بكل وضوح في كتاب "مسار فكر" الذي صدر عن "وجـوه الفن" وأتمنى أن نحارب الجهد الفـني عند المسـيرين في المغـرب أو غـيره. وأظن أن الجهل الفـني يوصل في بلاد متخلفة للحكم . في بلاد متقدمة الوصـــــول للحكم فيه شروط ضـرورية بديهيـة، مـاهي ثقافة المرشـح، وما وجه تعامله مع الفن؟ وفي ديننا القـــول "إن الله جميل يحب الجمـال" لكن الاسـتعداد الفكـري للتعامل مع الفن ومع الجماليـات، هـذه ليست قضـية تربية فقط بل قضـية نمو مجتمع وتربية فنية. ليس لدينا في أي برنامج من الـبرامج التعليمية أو العليا أي مخطط دقيق ونـــاجع في بيداغوجية الجماليات؟ هـذا هو تخلفنـا. والتنـاقض هو أنه في الـوقت الـذي نعيش هـذا التخلف على مسـتوى مجتمعاتنا وعلى مستوى السياسات الحكومية نرى أن لنا أناس مبدعين ... ولكن الشيء الذي أخشـاه هو أن هـؤلاء المبـدعين إذا لم يجـدوا المنـاخ داخل بلـدانهم سـيهاجرون للخـارج مثلما حصل للمهندسـين والكفـاءات الـتي لم تجد المنـاخ المناسب وهذا هو الخطأ.

<u>أحمد فاسي</u>: وهذا ما يحـدث للأقلام الـتي تكتب في منابر خارج بلـدانها لأن الصـحف المحلية لا تـؤدي لهم ولو مقابل شـراء مجلة فنية بل أحيانا لا تنشر مقـالاتهم البتة

فهل يمكن الحـديث عن عـدم اسـتقرار الأقلام الصـحفية العربية في مجال الكتابة عن التشكيل ؟

المهدي المنجرة : هذه ليست هجرة، هـذا طـرد . هي سياسة تحـــارب الكفـــاءات من حيث لا تـــدري في الستينيات والسبعينيات وأنا في اليونسكو وعــرفت عالميا ما هو كان الترتيب. ولما تتكلم عن الفنون التشــكيلية في العالم العربي في الأوساط العالمية مع المنظمات الدولية للفنـون التشـكيلية ،كـانت أربع مـدارس معروفة : الأولى هي السودانية، الثانية هي العراقيـة، الثالثة هي المغربيـة، والرابعة هي التونسية ، هـذه هي أربع مـدارس، لأنه كـان لها تأثير على العالم العربي وخارجه أين هذا التأثير الآن؟

حـــــتى في مجتمعنا لم تعط للفنــــــان المرتبة داخل المجتمع ، هذا سيأتي لكن في القرن المقبل ! !

أحمد فاسي: ولـــــنرجع إلى الســـــاحة النقدية في المغرب كمثـال، منذ أواخر الســتينيات لم تعـرف السـاحة ســـجالا ســـاخنا مثلما عرفته حـــول إشـــكالية الأصـــالة والمعاصرة وما تلا ذلك من مقالات نشـرت لمحمد شـبعة ومحمد بنيس والنيسابوري فهل هذا دليل ركود فــني ؟ أم هي فترة تأمل يمر بها الفنان أو الناقد ؟

المهدي المنجـرة: سـؤالك أساسي الأدب يبـدأ لما يكون هنـاك نقد أدبي .الفن يبـدأ عنـدما يكـون هنـاك نقد تشكيلي، لا أظن أن لنا ثلاث أو أربع أو على الأكثر خمسة بــالمغرب من الـذين يمكنهم أن تكـون لهم إمكانيـات في النقد هــذا عمل يتطلب ثقافة وعلمــا، تــاريخ الفن وكيف تطـور هـذا يطـالب نوعا من علـوم المجتمع ويعـرف كيف يتصرف مع فنـه، يطـالب دراسة للقيم وكيف هـذه القيم. نجدها أو لا نجـدها في اللوحة وكيف يتطـور، هـذا يطـالب ارتباطا بين العلاقة بين الفن التشكيلي والفنون الأخرى.

إذا أردت أن تفهم الشـعر اذهب وانظر إذا ما كـان في الفنون التشكيلية وفي الموسيقى لأن في الخلق والإبداع، هنالك ارتبــاط حســمي وضـعي ما بين الإنتــاج كإنتــاج ولا يمكن أن نقسـمه إلى أطـراف كموسـيقى وفن تشـكيلي، طبعا لكل مجال شروطه وذاتيته.

صـعب تصـور الحيـاة بـدون جمـال، من الصـباح إلى المساء، الجمال في الطيور، في النجوم، في السماء، في البشر.

لا يهمني أن يعجبك الملحون، أو الجاز أو البـوب المهم أن يكون لديك ارتبـاط وإحسـاس بالأشـياء الـتي تثـير لأن هذا هو البرهان في الوجود والحياة. وهـذا هو دور الفنـون التشكيلية وليس أي شيء آخر.

أحمد فاسي: الفنـانون المغاربة صـباغون بامتيـاز إلا أنهم لم ينخرطـــوا بعد في ســـياق بعض تيـــارات الفن المعاصر.

المهدي المنجرة : هذه مرحلة، الفنان المغـربي لما يشتغل كعدد من فناني دول العالم الثـالث بـدون هياكـل، بـدون بنية تحتيـة، بـدون تشـجيع، بـدون نقد فـني، بـدون متحف، بدون نـدوات وتبـادل الآراء الحقيقي، بـدون حرية تعبير في الإذاعة والتلفزة.

ماذا يمكن أن يفعـل؟ إذن يجب أن يفـرض نفسه بـأي طريقــة، كل فنــان يتعامل مع الفن، يمر بعــدة مراحــل، مرحلة أولى وهي أن يتعامل مع المـادة ومع الألـوان ومع الـزيت أن يتعامل مع كل شـيء، مرحلة ثانيـة، أن يحـاول أن يجد داخل نفسه قـــوة تعبيرية خاصة به وذاتيـــة، ولما يـأتي ذلك يـدخل في مراحل أخـرى انتقالية أي ينتقل من أسلوب إلى آخر وهذه أهم مرحلة بيداغوجية للفنان....

المعاصـرة أو الحداثة الحقيقة هي الـتي تـأتي بطريقة ذاتية في التفتيش داخل نفسك وفي تبادل الآراء طبعا مع الآخر، هنالك تيارات عالمية تصل في أوقـات معينة ويجب على الإنســان أن يتعامل معها ويمارســها ولكن بـــدون تجمد.... وبالخصوص في الفنـون التشـكيلية في المغـرب الماضي كفنون تشكيلية لم يتجـاوز 60 أو 70 سـنة ، لكن هنـاك مجـال حـر، المهم أن الألفـاظ لا تهمـني . هل هـذه حداثة أم معاصـرة؟... أهم امتحـان هو كيف يحس بنفسه تراه يتغـزل مع اللوحة الـتي أنتجهـا، هل له ثقة كافية في نفسه، وأنه أنتج، وأن ذلك الإنتـاج هو نقطة انتقـال إلى ما هو أفضل، هذه الحركة الداخلية ما بين هذا الفنــان وعمله

وما بين هذا العمل والمجتمع الـذي يعيش فيه إذا وجد فيه صدى.

أحمد فاسي: على مستوى الإبداع العالمي، ما رأيك في بعض الاتجاهــات المعاصـــرة للفن كفن الجسد حيث يصــبح جسد الفنــان نفسه ســندا للإبــداع أو فن الأرض، تــدخلات إبداعية ضـخمة في صــحراء أو غابة أو أرض، أو L'art Conceptuel بصفة شمولية والذي يعتمد على فكـرة أو مفهـوم كـأن يعتمد الفنـان لوحة فارغة أوأن يطلب من مجموعة أشــخاص عــراة يــرون من الخلف أن يركضــوا بسرعة ، فما رأيكم في مثل هذه التيارات؟

المهدي المنجرة : لست ضد أي تجربة كيفما كانت في ميدان الخلق والإبـداع لأن هـذه هي مسـؤولية الفنـان إذا أحب أن يعبر عن شيء . والذي يتحكم هو الرأي العام والــذوق. أخــيرا كنت وشــاركت في فيلم عن مايســمى بالفن العضوي L'art organique والـذي، الإنتـاج فيـه، من اللوحة إلى النحت كله بمـــــواد حية من الأشـــــجار، من الحيـوان، أحيانا من العظـام طبعا عنـدي موقف أحيانا هو خلقي ليس خلقي بمعـنى الأخلاق رغم أن قيمي تتعـارض مع بعض التجـــــارب لكن بـــــأي حق يمكن أن تنتقد ذلك الفنـان، مـادام لم يضر بأحد لم يأكل لأحـد. الـذوق يتحكم في الأخير.

أحمد فاسي: هل يمكن التنبؤ بنجـــاح واســـتمرارية الفن المعاصر أو بعودة الفن الكلاسيكي القديم؟

المهدي المنجرة : أنا عندي تفسير بسيط لم أفهم، بالنســبة لي كل فن هو معاصــر، لم أعــرف أي فن غــير معاصــر. إذا شــاهدت فــان غــوخ وهو فن معاصر يرجع لسنين إذا أخذت ميكايل أنجلو وهو فن معاصر ويرجع إلى قــرون وإذا في بعض الفنــون بيكاسو القــرن الماضي بعد عشرة قرون سـتجد أن بيكاسو موجـود، الفن هو الشـيء الذي يتغلب ويتعالى وبعلو أعلى من المكان والزمان ....

أحمد فاسي: وهل ســيعيد التــاريخ نفســه؟ ونــرى عبــاقرة جــدد كرمــبرانت و "دالي"... أم أن التكنولوجيا كرست السهولة وبالتالي لن نرى سوى نماذج منقولة عن الأساتذ؟ .

المهدي المنجرة : إثنين في حياتي أعطياني درسا في الإهتمام بالفنون اسم الأول هو "Kenzo Tanguy " وهو أكبر معماري في تاريخ القرن 20، عمره سبعون عاما وكنت أتكلم معه وقال لي، هل تعرف الفرق بين المهندس المعماري المبدع وغير المبدع، قال لي: المهندس المعماري غير المبدع يبدأ بالجذور ويرسم ويصمم البناية كما يراها . العبقري يبدأ بالتصميم ويرى الفراغ ويبني حوله. لدينا أول الإختصاصيين في الموسيقى: الفارابي. كان يستعمل نفس العبارة بطريقة أخرى، العبارات التي استعمل في كتابه عن الموسيقى، مابين نقطة ونقطة، يقول هذا هو التركيز، فبدون هذا الفراغ ليس هناك موسيقى وهذا الفراغ هو الذي يعطي القيمة لما فيه، هكذا تكلم Tanguy

ومرة إذا لم أخطئ سمعتها من الموجي رحمه الله، ومرة قلت له كنت رائعا فأجابني لا ليست هنالك عبقرية لا في الآلة ولا في أي شيء ولا في الموسيقى. العبقرية هي في الأذن التي تسمع الموسيقى، لا يكفي أن لك واحدا عبقريا في العود مثل منير بشير إذا كان هناك تطور وثقافة وموسيقى وأذن لا توجد إمكانيات تفرق بينه وبين آخر. أقول نفس الشيء بالنسبة للفن سيأتي رامبرانت آخر وسيأتي أفضل بيكاسو آخر لكن بظروف وأوقات فيها العيون التي ترى.

المنتوج المغربي هو مرآة ونتيجة للوضعية المغربية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية إذن المنتوج الفني هو مرآة، إذا تحسنت الأوضاع سيتحسن، لما دخلت المغرب في السبعينات كان حقيقة شيء حي في الفنون التشكيلية في المغرب وكان عدد الفنانين التشكيليين لا يتجوز 60 أو 70 أو 80, حتى رواق باب الرواح كان قريبا من الجامعة.

أحمد فاسي: ما السبيل للرفع من إيقاع الخلق الفني المغربي هل الرجوع إلى الأصل، الرمز، العلامة، اعتماد مواد محلية، تمجيد التراث، أم الإبداع بكل حرية وعدم توجيه أو أدلجة الفن؟

المهـدي المنجـرة : الأصـالة الحقيقية هي احـترام التيار الذاتي الشخصي الـداخلي. في العـالم العـربي، في الشعر الأندلسي، مدرسة أندلسية غيرت طريقة الـتركيب للشعر وصارت حرب.هل هـذا أصـلي ؟ وهل هـذا ابتكـار؟ أظن أن للفن حريتـه، ولا يمكن لفنـان يحـترم أن لا تـرى فيه مرجعية بالنســبة لبيئته وتاريخه والمــواد الموجـــودة والألوان الموجودة التي تؤثر عليه.

هـذا شـيء طـبيعي، في نفس الـوقت يجب أن نعمل بحرية أن لا نفـرض على النـاس أي شـيء، أن لا نفـرض عليهم مـدارس معينــة، يجب في تـربيتهم في المـدارس التشـكيلية في مـدارس الفنـون الجميلـة، أن تعطيهم كل الإمكانيات أن يروا تعددية كما هي ويبقى تعاملهم شخصيا مع هذه المدرسة أو تلك المادة. أو مع ذلك اللـون لأنه إذا لم تبق حرية في اختيـار طريقة التعبـير ووسـائل التعبـير ومـواد التعبـير انتهى الفن. وأنا لا يهمـني التشـخيص من بعد، يكفيـني أن أرى لوحـة، أتعامل مع هـذه اللوحـة، أجد فيها جماليات، ومن بعد أحللها .

التعامل مع الفن يأتي في رؤية، انفعال مثل نغمة، تبدأ أغنية لأم كلثــوم في النغمة الأولى في 10 ثــوان، تعجبك الأغنية أولا، تنفعل أولا.

أحمد فاسي: ما هو في نظــــركم الســـلوك الأمثل للفنان ؟

المهدي المنجرة : أن لا يسـمع لتوصـية أحد آخر إلا إبداعه وخلقــــه، وفي المرحلة الثانية الأخذ بـــآراء الآخر والتلقائيــة. والنصـيحة هي النزاهة مع نفســه. النظافة مع نفســـه، الفن نظيف والتعامل مع الفن يجب أن يكــــون نظيفا بالنسبة لي، الفن صلاة من أنواع الصلاة. أن يكــون معجبا بالفن بنفسه، كفنان والإعجـاب بـالفن يطـالب نوعا من الحب الحقيقي الشاسع الواسع... صـعب أن يتعــرف على هذا الفن ويعبر عن هذا الفن، ثم يجب أن يكون فيه نوع من الكرامة ، إذا كان الفنان فيه كرامة مع نفسه هذه الكرامة تأتي في التعبير في اللوحة.

وأخــيرا أن يكــون نــوع من التواضع حــتى لايمتنع من تطورات أخرى مع نفسه.

أحمد فاسي: وما رؤيتك للناقد الفني ؟

المهــدي المنجــرة : للناقد أول شــيء أن يكــون تعاطف أولا ويهتم بالتوثيق. قبل أن ينقد، عليه أن يتعـرف على الحد الأدنى. ما هي اللوحــة، وما هو الشق وراءهــا، وأن تكــون التربية الفنية ليس فقط عند هــذا الشــخص ولكن أن تكـون له مفـاهيم للمقارنة ما بين عمل و آخـر، وأخيرا إذا أراد أن يكون ناقدا في هذا الميـدان أن لا يعمل أي شــيء آخر ...في الصــبح تكتب عن مــؤتمر سياسي وفي المســاء تكتب عن لوحة لابن يسف والغد تكتب عن مباراة لكرة القدم ثم عن ربيع أو القاسمي، إذن يجب أن يكون هنـاك نـوع من التخصـص، وأن يـروح الكـاتب للنقد بجاذبية. التجاوب أساسي أنا وإن قـدمت الأطروحة خليل المرابط عن الفن المغربي أو لكتــاب عن بن يسف لست ناقدا هذا إحساس ومسؤولية لكن حـتى يمكن لهـذا الناقد أن يفعل شيئا يجب على المسـؤولين عن الصـحافة، يجب أن يعطــوا للنقد مكانا خاصا مثلما أعطــوه للرياضــة، أن يعطوا نفس الصفحة للنقد الحقيقي في الفنون التشكيلية وفي المســـرح والشـــعر لأن هـــذه مدرسة درس في الحضارة . ..